مظاهر الخلل في مفهوم التّعبد والتّديّن لدى بعض المسلمين (التّوحيد والإيمان نموذجًا)

Manifestations of imbalance in the concept of worship and religiosity among some Muslims (Monotheism and Faith as an Example)

إعداد

د. سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي

أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود بالرياض.

كلية التربية-قسم الدراسات الإسلامية

المملكة العربية السعودية

sotaibii@ksu.edu.sa

Written by

Dr.Sahal ben Refa ben sahaal Alotaibi

Professor of the Belief, Islamic Studies Department, Education College King Saud University - Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان مظاهر الخلل في مفهوم التّعبد والتّديّن عند بعض المسلمين وخاصة في العصور المتأخرة. حيث أن مظاهر الخلل في التّعبد والتّديّن كثيرة جداً، وقد اقتصر هذا البحث على بيان مظهرين من أهم مظاهر الخلل في مفهوم التّعبد والتّديّن، كنموذجين لمظاهر الخلل عموماً في مفهوم التّعبد والتّديّن لدى بعض المسلمين هداهم الله، وهما:

الأول: مظاهر الخلل في فهم حقيقة التّوحيد الذي دعت إليه الرّسل.

والثّاني: مظاهر الخلل في مفهوم الإيمان.

وأقتصر البحث على هذين الموضوعين لأهميتهما، فهما أساس العقيدة والإيمان. والعقيدة هي أساس بناء المجتمعات، فإذا كانت سليمة انضبط المجتمع وارتقى في الكمال الإنساني، وإن كانت منحرفة تفكك المجتمع وانحط إلى الحضيض. فالخلل السلوكي في ممارسات الأفراد والمجتمعات ناتج عن خلل إيماني وعقديّ وتعبّدي.

Research Summary:

This research aims to show the manifestations of imbalance in the concept of worship and religiosity among some Muslims, especially in later times. As the manifestations of the defect in the devotion and religiosity are very many, this research was limited to showing two aspects of the defect in the concept of devotion and religiosity, namely:

The first: Aspects of misunderstanding in understanding the reality of monotheism that the Apostles called for.

The second: The manifestations of imbalance in the concept of faith as examples of the general imbalances in the concept of devotion and religiosity among some Muslims guided by God.

The research was limited to these two topics because of their importance, as they are the basis of belief and faith. The doctrine is the basis for building societies. If it is sound, society is disciplined and elevated in human perfection. If it is skewed, society is disintegrated and degraded. The behavioral defect in these matters is the result of a faith defect, belief and devotional.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمّد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين:

أما بعد: فإنّ المتأمّل في واقع بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة، والفرق القديمة، وبعض الأفراد والمجتمعات الإسلامية؛ يجد بعض مظاهرَ خللٍ في مفهوم التّديّن والتّعبد والإيمان والتّوحيد عندهم، وهذه المظاهر كثيرة، ولذا أقتصر هذا البحث على بيان مظهرين من مظاهر الخلل في مفهوم التّعبد والتّديّن لدى بعض المسلمين، كنموذجين لمظاهر الخلل عموماً في مفهوم التّعبد والتّديّن لدى بعض المسلمين والجماعات والفرق في هذا الزمن، وخاصّة في العصور المتأخرة، وهما:

الأول: مظاهر الخلل في مفهوم التّوحيد الذي دعت إليه رسل الله عليهم السّلام.

والثّاني: مظاهر الخلل في مفهوم الإيمان.

ونتيجة لانتشار هذه المظاهر، وأثرها وانعكاساتها على حياة المسلمين، والجماعات المعاصرة، رغبت البحث في هذا الموضوع، بعنوان: **(مظاهر الخلل في مفهوم التّعبّد والتّديّن لدى بعض المسلمين-التّوحيد والإيمان أنموذجًا).**

مشكلة البحث: من المعلوم لدى كل مسلم أنّ التّوحيد هو إفراد الله بالرّبوبية والألوهية والأسماء والصّفات كما دلت عليه نصوص الكتاب والسّنة وأقوال سلف الأمة الصالح. ولكن بسبب البعد عن هدي الكتاب والسنة وقع بعض المسلمين في العصور المتأخرة –هداهم الله- في خلل في هذا المفهوم. فوجد من أهمل توحيد الأسماء والصّفات أو حرّف وعطل فيه، ووجد من اختزل التّوحيد في الرّبوبية وأهمل أو تساهل في توحيد الألوهية الّذي هو توحيد العبادة، فوقع كثير من المسلمين اليوم فيما يناقض هذا التّوحيد أو ينقصه ويخل به. بل وجِد من فسّر كلمة التّوحيد (لا إله إلا الله) بتوحيد الرّبوبية فقط. وكل ذلك بسبب الجهل والخلل في مفهوم التّوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وكذلك مفهوم الإيمان، الذي هو اعتقاد بالجنّان، وقول باللّسان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرّحمان، وينقص بالعصيان، فيشمل الدّين كله ظاهراً وباطناً، اعتقاداً وقولاً وعملاً وسلوكاً ومعاملةً. وجِد من اختزل الإيمان في القلب أو القلب واللّسان فقط وأهمل تعلّقَه بأعمال الجوارح، أو تغافل وتساهل عن الترابط وعلاقة التّأثير المتبادلة بين الظّاهر والباطن. فوقع الخلل في مفهوم التّديّن والتّعبّد عموماً، ووجد في المسلمين من يترك الواجبات والشعائر الظّاهرة بزعمه أنّها لا علاقة لها بالدّيّن والإيمان، ووجد

من يرتكب أو يتساهل في الكبائر والمحرمات بزعمه أنّه لا يضر مع الإيمان ذنب. وكل ذلك ناتج عن خلل في مفهوم الدّين والتّديّن والتّوحيد والإيمان والتّعبّد.

أهمية بحث هذا الموضوع، وأسباب اختياره:

١) الفهم الصّحيح للتّديّن والتّعبّد، والتّوحيد والإيمان، هو أساس العقيدة. الّتي هي أساس بناء المجتمعات والأفراد والأمم والشعوب، فإذا كانت سليمة انضبط المجتمع وارتقى في الكمال الإنّساني، وإن كانت منحرفة تفكك ذلكم المجتمع وانحط إلى الحضيض. فالخلل السّلوكي في هذه الأمور ناتج عن خلل إيماني وعقدي وتعبدي.

٢) التّديّن هو الذي يسيّر أصحابه ويدفعهم للعمل؛ فإذا كان تديّناً صحيحًا دفعهم للعمل الصالح المثمر، والعكس بالعكس، فإذا كان التّديّن منحرفًا دفعهم إلى العمل السيئ. والواقع يشهد بهذا. فإذا رأينا المسلم يحرص على إماطة الأذى عن الطريق، ويحترم حقوق الطريق، وسلامة المارة في الطريق ونظافته، دل ذلك على كمال إيمانه وعقيدته، وإذا رأيناه لا يبالي بحقوق الطريق ونظافته واحترام المارة في الطريق، دلّ ذلك على خلل وقصور في إيمانه، ونقص في عقيدته وديانته، وهكذا أداء الأمانة والحقوق وحسن الأخلاق في معاملة الخالق والخلق.

٣) أهمية ومكانة بابي التّوحيد والإيمان، في أبواب المعتقد، وأثرهما على بقية الأبواب العقديّة.

٤) التشخيص السّليم لمواطن الخلل ومظاهر الضّعف، ينتج عنه -بإذن الله تعالى- العلاج السّليم، والتّصحيح لمواطن الخلل، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث، قياماً بالواجب، وأداء للأمانة، ونصحاً للأمّة.

أهداف البحث:

١) بيان المفهوم الصّحيح للعبادة والتّعبد والتّديّن، والتّوحيد والإيمان.

٢) بيان وسطية أهل السّنّة والجماعة بين فرق الأمّة في كل باب من أبواب الدّين.

٣) ذكر نماذج وصور من مظاهر الخلل والانحراف في مفهوم التّديّن والتّعبد، والتّوحيد والإيمان.

٤) بيان مظاهر الخلل لدى بعض الجماعات والفرق المعاصرة في مفهوم التّديّن والتّعبد.

٥) معالجة مظاهر الخلل لدى بعض المسلمين في هذه المفاهيم التّعبدية الاعتقادية.

٦) الرّد على مظاهر الخلل والانحرافات في هذه المفاهيم التعبدية الاعتقادية.

٧) تعزيز مظاهر التفاؤل والتّوسط والاعتدال في الأمور كلها.

٨) بيان خطورة الإفراط أو التّفريط عن الصّراط المستقيم.

ويأتي هذا البحث ليجيب على مجموعة من الأسئلة المهمّة:

١) كيف نفهم التّديّن والتّعبّد لله فهماً صحيحاً؟

٢) بل كيف نفهم الدّين والتّوحيد والإيمان والتّعبّد كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكما فهمه وعمل به الصّحابة رضي الله عنهم وأرضاهم؟

٣) وكيف فهمت الجماعات والفرق المخالفة من الغلاة والجفاة الدّين والتّوحيد والإيمان؟

وأصبحت هذه الأسئلة مهمة لكل مهتّم بالدّين والدّعوة إليه، ولكل مثقّف وكاتب، وكثر الجدل حولها.

وقد تبدوا الأجوبة عليها سهلة ميّسّرة، لكن وقع الخلل -أيضاً-في الأجوبة عن هذه الأسئلة الصّحيحة، لدى طوائف من المسلمين في عصورهم المتأخرة. وهذا الخلل هو أحد الأسباب في ظهور الفرق الأولى، والجماعات المعاصرة، والتّوجهات الدّينية المختلفة، والتيارات والأفكار.

الدّراسات السّابقة: هناك دراسات كثيرة في بيان حقيقة الإيمان والتّوحيد، في تقريرهما، والردّ على المخالفين فيهما، ولعل هذا البحث فيه إضافة لتلكم الدراسات- بإذن الله- لجانب عملي تطبيقي، وهو مظاهر الخلل في مفهوم التّوحيد والتّعبد والإيمان في حياة المسلمين المعاصرة، لدى بعض الفرق والجماعات، نتج عن المفهوم الخاطئ في التنّظير، والتطّبيق الخاطئ الذي أثر في فهم بعض المسلمين لدينهم، وتطبيقه في حياتهم، اعتقادًا، وعبادة، وسلوكًا وعملا وتعاملاً. إمّا جهلاً من بعضهم، أو هوى متبعًا من البعض الآخر.

حدود البحث: أقتصر هذا البحث المختصر على بيان بعض مظاهر الخلل في مفهوم التّوحيد والإيمان، والعبادة والتّعبد، دون الدخول في المناقشات التفصيلية والرّدود على الشبهات والمناقشات.

منهج البحث وإجراءاته: أعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، مدعماً بالشواهد القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، والأقوال عن سلف الأمّة الصّالح من الصّحابة والتّابعين والأئمة المهدّيين، من خلال المنهجية العلمية المعروفة في البحث العلمي النّوعي.

خطة البحث: يتكون هذ البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس.

المقدمــة: فــي بيــان أهميــة الموضــوع، وأسـباب اختيــاره، ومشـكلته، وأهدافـه، وحدوده، وأسئلته، ومنهجه، وخطته.

تمهيد: حقيقة: التّعبد، والتّديّن، والتّوحيد، والإيمان.

المبحث الأول: مظاهر الخلل في مفهوم التّوحيد، وحقيقته.

المبحث الثّاني: مظاهر الخلل في مفهوم الإيمان، وحقيقته.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

ثم فهرس المراجع.

وقد راعيت الاختصار في هذا البحث قدر المستطاع، سائلاً الله أن -عز وجل- أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا، نافعًا، لعباده، وأن يرزقنا جميعاً الفقه في الدّين، والتّوفيق لما يحبه ويرضاه، وأن يهدينا وإخواننا المسلمين صراطه المستقيم، ونسأله -سبحانه- أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يكثر فيهم أئمة الهدى والدّين، وأن يجعلنا وإياهم هداة مهتدين، وصلى الله وسلم على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد
حقيقة التّعبد، والتّديّن، والتّوحيد، والإيمان

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: حقيقة التّعبد، والعبودية لله تعالى.

التّعبد مشتق من العبادة: والعبادة شرعاً. تطلق على معنيين:

الأول: التّعبد: بمعنى التّذلّل لله عز وجل، بفعل أوامره واجتناب نواهيه، محبةً وتعظيماً. ويمكن أن تعرف حينئذ بأنها: امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه. فهي أداء الواجبات التي أوجبها الله قولاً أو فعلاً، باطنًا أو ظاهرًا، وترك المحرمات التي حرمها الله قولاً أو فعلاً، ظاهرًا أو باطنًا.

الثّاني: المُتَعَبَّدُ به أو القربة. ومعناها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) رحمه الله: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)[١].

مثال ذلك: الصلاة والزكاة فعلهما عبادة، وهو التّعبد، وهما في نفسهما عبادة، أي متعبد بهما. ولهذا يسمى توحيد الألوهية توحيد العبادة باعتبارين: باعتبار إضافته إلى الله عز وجل، يسمى توحيد الألوهية. وباعتبار إضافته إلى الخلق، يسمى توحيد العبادة، وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة[٢].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب(ت١٢٠٦هـ) رحمه الله في تعريف العبادة فقال: (هي التّوحيد)[٣].

وقال ابن القيم (ت٧٥١هـ) رحمه الله: (العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذّل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبّد أي مذلل. والتّعبد التّذلّل والخضوع. فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له. ومن خضعت له بلا محبّة لم تكن عابداً له، حتّى تكون محبّاً خاضعاً. ومن هاهنا كان المنكرون محبّة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية)[٤].

وبهذا يتضح الفرق بين العبادة في اللّغة والعبادة في الشّرع، ولهذا لما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) - رحمه الله – تعريف العبادة في اللّغة ثم في الشّرع قال معقباً على ذلك ورادّا على غلاة الصّوفية الذين انحرفوا في مفهوم العبادة: (وهذه

---

(١) العبودية، لابن تيمية، ص(٢٣).
(٢) ينظر: القول المفيد على كتاب التّوحيد، (١٤/١). وقال في ثلاثة الأصول، ص(٢٣): (التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة).
(٣) كتاب التّوحيد، الباب الأول، المسألة الثانية، (القول المفيد: ٤٩/١).
(٤) مدارج السالكين، (٣٢٧/١-٣٢٨).

العبادة متعلّقة بإلهيته تعالى، ولهذا كان عنوان التّوحيد: (لا إله إلا الله)، بخلاف من يقرّ بربوبيته ولا يعبُدُه، أو يعبد معه إلهاً آخر.

فالإله: هو الذي يأْلَهُهُ القلب بكمال الحبّ والتّعظيم، والإجلال والإكرام، والخوف والرجاء، ونحو ذلك.

وهذه العبادة: هي التي يحبّها الله ويرضاها، وبها وصف المصطفين من عباده، وبها بعث رسله.

وأما العبد: بمعنى المُعبَّد، سواء أقر بذلك أو أنكره، فهذا المعنى يشترك فيه المؤمن والكافر.

وبالفرق بين هذين النّوعين يُعرف الفرق بين الحقائق الدّينية الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشّرعي الّتي يحبّها ويرضاها ويوالي أهلها ويكرمهم بجنته، وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، الّتي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية، كان من أتباع إبليس)(٥).

وهو بهذا يشير إلى نوع من أنواع الانحراف في مفهوم التّديّن والتعبد لدى طوائف من الصّوفية، ويشير إلى الفرق بين العبودية الشّرعية الاختيارية، وبين العبودية القهرية الكونية. فالعبادة بهذا المعنى الشرعي: هي كل ما أمر الله به ورسوله- صلّى الله عليه وسلم- من قول وعمل وعقيدة.

وهي العبادة التي أمر الله بها: هي الغاية المحبوبة لله، والمرضيّة له سبحانه. والتي خلق من أجلها الخلق، كما قال تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**} [الذاريات: ٥٦] وبها أرسل جميع الرسل، كما قال تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**} [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**} [الأنبياء: ٢٥]، ولهذا كان كل رسول يقول لقومه: {**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه** } [الأعراف، الآيات :٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]. ووصف الله بها خواص خلقه من الملائكة والأنبياء، فقال تعالى: {**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ**} [الأنبياء: ١٩]، وقال تعالى: {**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**} [النجم: ١٠]. وهذا أشرف وصف يوصف به الإنّسان، ولهذا وصف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في أعلى مقامات التّشريف.

بل هي أول أمْرٍ وجهه الله إلى الناس في القرآن الكريم في سورة البقرة، قال

(٥) العبودية، ص(٤٤-٤٥).

تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}[البقرة: ٢١]، وأول نهي في كتاب الله تعالى الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: {**فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}[البقرة:٢٢]. وهذا هو معنى "لا إله إلا الله". النفي والاثبات.

فدلت هذه الآيات الكريمات على مكانة عبادة الله، الّتي لم نخلق إلا لها. والدّين كله داخل في هذا المفهوم للعبادة والتّعبد، كما جاء في حديث جبريل، أن النبي - صلّى الله عليه وسلم- قال في آخر الحديث: (**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**)(٦). فالعبادة إذاً تشمل كل ما جاء به الشّرع المطهّر، سواء أمر به، أو نهى عنه، وسواء كان قولاً أو فعلاً، ظاهرًا أو باطنًا. من أقوال القلب واللّسان، أومن أعمال القلب واللّسان والجوارح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) -رحمه الله- بعد أن ذكر أهمية العبادة في معرض ردّه على من انحرف في مفهومها: (إذا تبيّن هذا فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته. ومن توهّم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل؛ فهو من أجهل الخلق بل من أضلهم)(٧).

وإذا كان كذلك؛ فالعبادة شاملة لجميع أمور الحياة وأقوال العبد وأفعاله الظاهرة والباطنة. كما قال تعالى: {**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**}[الأنعام::١٦٢]. وبهذا يتبين لنا أن العبادة لها مفهومان عند الاطلاق:

عام: وتشمل الدّين كلّه، بما في ذلك المباحات إذا قصد بها وجه الله، وأداء حقوق العباد، ونحو ذلك.

فهي بهذا المعنى تشمل جميع شؤون الحياة، ما يقوله الإنسان وما يعمله إذا كان لله سبحانه وتعالى، فهي تشمل الشّعائر التّعبدية كالصّلاة والصّيام والزكّاة والحجّ والذّكر والدّعاء والاستغفار والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وغيرها، كما تشمل شؤون الحياة الأخرى المباحة كالأكل والشّرب والمعاملات والنّكاح وغير ذلك.

وخاص: والمعنى المتبادر لأذهان الناس عند الإطلاق، فتختص بالشعائر التّعبدية المحضة، كالطهارة والصلاة الزكاة ونحوها، وهي التي اصطلح عليها الفقهاء في باب

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامات السّاعة، رقم (١).
(٧) العبودية، ص(٩١). وينظر: ص(٣٩-٤٣).

العبادات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة، فالصّلاة، والزكّاة، والصّيام، والحجّ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والملوك من الآدميين، والبهائم، والدّعاء، والذّكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حبّ الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدّين له، والصّبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك من العبادة لله)(٨).

ومن هذا يفهم كل مسلمٍ أن كل ما يعمله الإنسان في هذه الحياة من الأعمال المباحة المشروعة إذا كان القصد فيها صالحاً فهي عبادة، حتى ما يقضيه الإنسان في شهوته ولذاته ومعاشه اليومي، وأوضح شاهد على ذلك ما رواه الإمام مسلم وغيره أن النبي -صلّى الله عليه وسلم- قال: (**وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا نعم، قال: كذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**)(٩). وفي أكله، وشربه، ولباسه ونومه، وهذا من تمام رحمة الله على عباده، يثيبهم على ما فيه قضاء شهواتهم إذا نووا أداء حقّ الزوجة وإحصان الفرج. وسقي الكلب والهرّة، وتبسم المسلم في وجه أخيه، وإماطته الأذى عن الطريق، وبّره لوالديه، وصلته للرّحم، وإطعام الجائع، والصّلح بين المتخاصمين، وحسن الخلق، وعنايته بجمال ملبسه ومظهره ونعله وثوبه، وحمد الله عند أكله وشربه، بل شأنه كله إذا نوى به وجه الله فهو عبادته، فمحياه ومماته لله عز وجل.

المسألة الثانية: تعريف التّديّن.

التّديّن: مأخوذ من الدّين، الذي هو: التّسليم والطّاعة والتّذلّل والخضوع والعبودية(١٠).

فالتّديّن: هو التطبيق العملي للدّين. بالاستقامة عليه، والتّمسك به، وقد يكون هذا

(٨)العبودية، ص(٢٣-٢٤).
(٩) رواه مسلم، في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: بيان أنّ اسم الصّدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم: (١٠٠٦).
(١٠) ينظر: تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، (٧٠٩/٧)، تحقيق: التركي.

التّديّن صحيحاً، وقد يكون غير صحيح.

وعليه فالتّديّن الصحيح: يتمثل أولاً وقبل كل شيء بالتّسليم لله عزّ وجل، والتّذلّل له سبحانه، والخضوع والطّاعة والامتثال، وجماع ذلك كله: العبودية لله سبحانه. ولذلك عرّف الإسلام بهذا المعنى: التّسليم، وهو: الاستسلام لله بالتّوحيد، والانقياد له بالطّاعة، والبراءة من الشرك وأهله(١١).

والاستسلام -أي: استسلام التّديّن- لابد أن يشمل استسلام القلب واستسلام الجوارح، وخضوع القلب وخضوع الجوارح، ولو تأملنا حال المسلمين اليوم ثم قارناها بحال المسلمين في القرون الفاضلة، لانكشفت لنا الكثير من الحقائق المتّعلقة بدعوى التّديّن.

وعلى هذا المعنى فحقيقة التّديّن: هو ظهور علاماته على القلب أولاً، في الأعمال القلبية، ثم على الجوارح التي هي الأعمال الظاهرة، والتي تتمثل بأعمال المسلم الظاهرة تجاه أركان الدّين وواجباته، ثم يستلزم ذلك منهج التّعامل، مع الله عز وجل، ومع خلقه.

وهذا التّديّن وقد يسميه بعض النّاس بالمصطلحات المعاصرة: (الالّتزام)، أو (التّطوع). فالتّديّن هو انتساب للدّين، وهذا التّديّن قد يكون فيه إفراط أو تفريط. والخلل فيه: هي مظاهر ضعف، أو تساهل وتهاون(١٢).

ومِن خصائِص الإنسانِ أنّه متدين بفطرته، التي جبله الله عليها، فالتّديّن والدّين أمر فطري، وضرورةٌ لحياةِ الإنسان، والإسلام هو دينُ الفطرة التي فطر الله النّاس عليها. قال تعالى: {**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**}[الروم:٣٠].

المسألة الثّالثة: تعريف التّوحيد.

والتّوحيد له مكانة عظيمة في الدّين فهو أول واجب على العبد، وأوّل ركن من أركان الإسلام. وهو آخر واجب يطلب من العبد، جعلنا الله ممن يختم له بكلمة التّوحيد: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

التّوحيد في المفهوم الشّرعي الذي دلت عليه أدلة الكتّاب والسّنّة، وأقوال سلف الأمّة الصّالح: هو إفراد الله بما يختص به. وقيل هو إفراد الله بالرّبوبية والألوهية والأسماء والصّفات. وقيل هو إفراد الله بالعبادة. وهذا تعريف للتوحيد بأهم أجزائه. وسمي التّوحيد توحيداً لأن المسلم الموحّد يعتقد أنّ الله واحد لا شريك له في ربوبيته

(١١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، لابن قاسم، ص(٣٦).
(١٢) ينظر: حقيقة التّديّن، للدكتور: نصار العقل، ص(١٠-١١).

وألوهيته وأسمائه وصفاته. ولأهل السّنة طريقتان في تقسيم أنواع التّوحيد، ومضمونهما واحد:

الطريقة الأولى: تقسيم التّوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والخبر، ويشمل توحيد الرّبوبية والأسماء والصّفات. وهو توحيد علميّ خبري. وتوحيد الإرادة والطّلب، ويشمل توحيد الألوهية، وهو توحيد عمليّ(١٣).

الطريقة الثّانية: تقسيم التّوحيد إلى ثلاثة أقسام(١٤).

١) توحيد الرّبوبية: وهو توحيد الله بأفعاله. بحيث يعتقد العبد أنّ الله -سبحانه وتعالى- خالق العباد ورازقهم، ومحييهم ومميتهم. وهذا التّوحيد أقر به إبليس ويقرّ به المشركون، ولا يكفي وحده في الدّخول في الإسلام والنّجاة من النّار. قال تعالى: {**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**} [لقمان: ٢٥].

٢) توحيد الألوهية: وهو توحيد الله بأفعال العباد، ويقال له توحيد العبادة. لأنّ الألوهية معناها العبادة، ولهذا كلمة التّوحيد: (لا إله إلا الله) معناها: لا معبود بحقّ إلا الله. وهذا التّوحيد هو الذي جاءت به الرسل. كما قال تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**}[النحل: ٣٦]، وكل رسول يدعو قومه إلى هذا التّوحيد كما تقدم في تعريف العبادة.

٣) توحيد الأسماء والصّفات: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله -صلّى الله عليه وسلم- من الأسماء والصّفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما قال تعالى: {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**} [الشورى: ١١].

ودليل هاتين الطريقتين الاسّتقراء والتّتبع للنّصوص الشّرعية، كما دل عليه أول سورة الفاتحة، وأول سورة النّاس، وقوله تعالى: {**رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا**}[مريم: ٦٥].

قال الإمام ابن بطة(ت٣٨٧هـ) رحمه الله في كتابه الإبانة: (أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به، ثلاثة أشياء:

(١٣) ينظر: التّدمرية، لابن تيمية، ص(٣).
(١٤) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي،(١٥٢/١)، ومعارج القبول، للحكمي، (٤١٨/١)، وأضواء البيان، للشنقيطي، (٤٨٨/٣-٤٩٣)، والقول السديد على من أنكر تقسيم التوحيد، للشيخ عبدالرزاق البدر.

أحدها: أن يعتقد ربانيته، ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التّعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

الثّاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشّرك، الذين أقروا بالصّانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثّالث: أن يعتقده موصوفاً بالصّفات التي يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها، من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه. إذ قد علمنا أنّ كثيراً ممن يقر به، ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته، فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده. ولأنا نجد الله -تعالى- قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها)(١٥).

فهذا النّص من هذا الإمام صريح في تقسيم التّوحيد إلى ثلاثة أقسام، وأنّ الإقرار بالرّبوبية وحده لا يكفي. وقد وقع الخلل في هذا في طوائف من الأمّة، والله المستّعان.

المسألة الرابعة: تعريف الإيمان.

الإيمان في التّعريف الشّرعي كما دلت عليه أدلة الكتاب والسّنة، وأقوال سّلف الأمة الصّالح: له إطلاقان:

الأول: أن يطلق على جهة الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فيراد به حينئذ الدّين كله، كقوله عز وجل: {**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**} [المؤمنون، الآيتان :١-٢]، وقوله: {**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**} [المائدة: ٢٣] وقول النبي ﷺ لوفد عبد القيس(١٦): (**آمركم بالإيمان بالله وحده**) قال: (**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**)(١٧). وقوله ﷺ: (**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عنه الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**)(١٨). يطلق

(١٥) الإبانة عن شريعة الفرقة النّاجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق: يوسف الوابل، ١٧٢/٢-١٧٣.

(١٦) وفد عبد القيس: هم جماعة مختارة تقدموا قبائل عبد القيس للمهاجرة إلى رسول الله ﷺ وكانوا أربعة عشر راكبًا، وكان رئيسهم الأشج العصوي. وكانت وفادتهم عام الفتح قبل خروج النبي ﷺ لمكة. ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٨١/١-١٨٤). وفتح الباري (١٣٠/١). والإيمان الأوسط (٥٨٩/٧) ضمن مجموع الفتاوى.

(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (٣٤/١/ح:٥٣). وفي مواضع متعددة من صحيحه. ومسلم في كتاب الإيمان (٤٦/١/ح:٢٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه مسلم أيضًا في الموضع السابق(ح:٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، ٣- باب أمور الإيمان(٢٠/١/ح:٩). ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان(٦٣/١/ح:٥٧و٥٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الإيمان ويراد به الدّين كلّه، وهذا المعنى للإيمان هو الذي قصده السّلف الصّالح بقولهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية: (ومن أصول أهل السّنة والجماعة أنّ الدّين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللّسان، وعمل القلب واللّسان والجوارح، وأنّ الإيمان يزيد بالطّاعة، وينقص بالمعصية)(١٩).

وقول القلب. وهو: اعترافه وتصديقه وإيقانه وإقراره ومعرفته، كاعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله.

وعمل القلب. وهو: انقياده لما صدق به ونيته وإخلاصه ولوازم ذلك وتوابعه من أعمال القلوب، كالتوكل والرجاء والمحبة والصبر ونحو ذلك.

وقول اللّسان فهو النطق بالشهادتين، وعمله: حركاته وتبليغه أمر الله، والدعوة إليه، والذب عن دينه، ونحو ذلك من العبادات التي لا تؤدى إلا به؛ كتلاوة القرآن، والدعاء، والاستغفار، وسائر الأذكار.

وعمل الجوارح. وهو: ما يؤدى إلا بها، كالصّلاة والحجّ والمشي في مرضاة الله كنقل الخطى إلى المسجد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك(٢٠). وعليه فالإيمان يشمل الدّين كله بشطريه الباطن والظاهر. الباطن قول القلب وعمله، والظاهر قول اللّسان وعمل الجوارح.

الثّاني: أن يأتي الإيمان مقرونًا بالإسلام أو العمل الصالح فيراد به حينئذ الاعتقادات الباطنة (أقوال القلوب وأعمالها) كقوله تعالى: {**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**} [البقرة: ٨٢]، وكحديث جبريل السابق حيث اقترن الإيمان بالإسلام، ففسر النبي ﷺ الإسلام بأعمال الجوارح والإيمان بأعمال القلوب.

هذه المفاهيم الشّرعية الصّحيحة: للعبادة والتّعبّد، والتّديّن، والتّوحيد، والإيمان، التي دلّت عليها نصوص الكتاب والسّنّة، وأقوال سلف الأمّة الصّالح، وطبقوها في حياتهم، علماً، وعملاً، واعتقاداً، وقع فيها خلل وقصور وسوء فهم لدى طوائف من المسلمين في العصور المتأخرة، لأسباب عديدة، نتج عن هذا الفهم الخاطئ، التطبيق الخاطئ. وهذا الخلل له صورتان: إما إفراط أو تفريط، غلو أو جفاء، ودين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه.

---

(١٩) العقيدة الواسطية مع شرحها للهراس، ص(٦٦).
(٢٠) ينظر: معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي(١٣/٢-١٥). وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين(٢٣٠/٢-٢٣١).

قال ابن تيمية رحمه الله: (دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه، والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشّيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه. وإذا كان الإسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه، قد اعترض الشيطان كثيرًا ممن ينتسب إليه، حتى أخرجه عن كثير من شرائعه، بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها عنه، حتى مرقوا منه كما يمرق السّهم من الرَّمِيَّة)(٢١).

وقال ابن القيم رحمه الله: (وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أنّ الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحدّ، وهذا بتجاوزه الحد)(٢٢).

وفي كل باب من أبواب الدّين والإيمان يوفّق الله من يشاء إلى صراطه المستّقيم.

قال ابن تيمية رحمه الله في وصف الفرقة النّاجية: (هم الوسَط في فِرَق الأُمَّة كما أن الأمَّة هي الوسط في الأُمَم:

١, فهم وسَطٌ في باب صفات الله -سبحانه وتعالى- بين أهل التَّعطيل الجهميَّة، وأهل التمثيل الْمُشبِّهة.

٢, وهم وسَطٌ في باب أفعال الله تعالى بين القدَريَّة والجبْريَّة.

٣. وفي باب وعيد الله بيْن الْمُرجئة والوعيديَّة من القدَريَّة وغيْرِهم.

٤, وفي باب أسماء الإيمان والدّين بين الْحَروريَّة والمعتزلة، وبين الْمُرجئة والجهميَّة.

٥. وفي أصحاب رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - بين الرَّوافض والخوارج)(٢٣).

وهذا التّوسط والاعتدال في كل أبواب الدّين، في العقائد، والعبادات، والمعاملات، ولهذا كان -عليه الصّلاة والسّلام- ينهى عن الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء، في مواطن كثيرة.

عن أنس -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النّبي ﷺ، يسألون عن عبادة النّبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ

(٢١) الوصية الكبرى، ص(٥٦)، دار الفاروق، ط(٢)، ١٤١٠هـ.
(٢٢) مدارج السالكين(٢/٥٢١-٥٢٢)، دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤٠٣هـ.
(٢٣) العقيدة الواسطية مع شرحها للهراس، ص(٥٩).

وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدًا ولا أفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: **"أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"**(٢٤).

قَالَ الحافظ ابن رجب في شرحه لهذا الحديث: (كان النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم- يأمر أصحابه بما يطيقون من الأعمال، وكانوا لشدَّة حرصهم على الطّاعات، يريدون الاجتهاد في العمل، فربَّما اعتذروا عن أمر النَّبيِّ -صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم- بالرّفق، واستعماله له في نفسه؛ أنَّه غير محتاج إلى العمل بضمان المغفرة له، وهم غير مضمون لهم المغفرة، فهم يحتاجون إلى الاجتهاد، ما لا يحتاج هو إلى ذلك، فكان -صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم- يغضب من ذلك، ويخبرهم أنَّه أتقاهم وأعلمهم به.

فكونه أتقاهم لله يتضمن شدَّة اجتهاده في خصال التّقوى، وهو العمل، وكونه أعلمهم به يتضمن أنَّ علمه بالله أفضل من علمهم بالله، وإنَّما زاد علمه بالله لمعنيين:

أحدهما: زيادة معرفته بتفاصيل أسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وعظمته وكبريائه، وما يستحقه من الجلال والإكرام والإعظام.

والثاني: أنَّ علمَه بالله مستند إلى عين اليقين، فإنَّه رآه إمَّا بعين بصره، أو بعين بصيرته، كما قَالَ ابن مسعود وابن عباس وغيرهما: رآه بفؤاده مرتين، وعلمُهم به مستند إلى علم يقين، وبين المرتين تباين، ولهذا سأل إبراهيم عليه السلام ربَّه أنْ يرقيه من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين، بالنسبة إلى رؤية إحياء الموتى)(٢٥).

وقال أبو جحيفة رضي الله عنه: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدّرداء فرأى أمّ الدّرداء متبذلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدّرداء ليس له حاجة في الدّنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال له: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: **"صدق سلمان"**(٢٦).

---

(٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنته، رقم:(١٤٠١).
(٢٥) فتح الباري، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض الله، (١ /٨١).
(٢٦) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم يرَ عليه قضاء إذا كان أوفق له، رقم: (١٩٦٨).

وحذر -عليه الصلاة والسلام- أمّته من الغلو وهو مجاوزة الحدّ في التعبّد أو العمل أو الاعتقاد أو القول أو الثّناء.

فعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- حبر الأمّة وترجمان القرآن، أنّه قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم -غداة العقبة وهو على راحلته: **"هات التقط لي"**. فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: **"بأمثال هؤلاء. بأمثال هؤلاء. وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"**(٢٧). وهذا جاء في حجّة الوداع، وعند رمي الجمرات، وفي مجمع النّاس، وإذا كان مجاوزة الحدّ في رمي حصى الجمار من الغلو في الدّين، فكيف من تجاوز الحدّ في العقائد والعبادات.

قال ابن تيمية -رحمه الله- في بيان ما دلّ عليه هذا الحديث: (وقوله: **"إياكم والغلو في الدين"** عامّ في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال)(٢٨).

المبحث الأول

مظاهر الخلل في مفهوم التّوحيد، وحقيقته

مع صراحة الآياتِ والأحاديث الصّحيحة، وكثرتها ووضوحها في بيان حقيقة التّوحيد، وإخلاص العبادة لله، والتّحذير من الشّرك بجميع صوره وأشكاله، صغيره وكبيره، ظاهره وخفيه، إلا أنك تأسَف لحالِ بعضِ المسلمين اليوم، والجماعات والفرق المعاصرة، الذين جهلوا مفهوم حقيقة التّوحيد، الذي هو أول واجب، وآخر واجب، وأظهر شيء، فوقع الخلل في فهم معناه، وحقيقته، وتطبيقه، وبالتالي وقع الخلل عندهم في مفهوم حقيقة التّديّن والتّعبّد الصّحيح. فتديَّنوا لله بأنواعٍ من البدَع والضلالات، وتعلَّقوا بغير الله من أشجار وأحجارٍ وخرافات، وتوجَّهوا إلى أصّحاب القبور في طلبِ الحاجات ودفعِ الكربات، حتَّى عمّ الخلل كثيراً من بلاد المسلمين اليوم إلا من رحم الله، وانتشرت فيها قبورٌ ومقامات يقصدُها الآلاف، يطلبون من أصحابها ما لا يُطلب إلا مِن الله، ويسوقون إليها الهديَ والقربات، ويقدِّمون النّذورَ، ويطلبون منها جلبَ النّفع ودفعَ الشرور. وكل ذلك بسبب الخلل في مفهوم التّوحيد، وحقيقته، ومعنى كلمة التّوحيد: (لا إله إلا الله) حقًا وصدقًا.

ومن صور هذا الخلل في مفهوم التّوحيد وحقيقته، ومعنى كلمة التّوحيد:

---

(٢٧) أخرجه أحمد:٢١٥/١، والنسائي:٢٦٨، وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب قدر، حصى الرمي، (٣٠٢٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم: (٢٦٨٠).
(٢٨) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص: (١٩٦).

١) **الخلل في مفهوم كلمة التّوحيد.** لا إله إلا الله، ومعناها، التي هي أول واجب وآخر واجب على المكلفين.

فوجد من في الأمّة من يفسّر معنى "لا إله إلا الله" بأنّها تعني لا خالق ولا رازق إلا الله فقط. وقالوا بأنّ معنى الإله هو القادر على الاختراع. وهذا تفسير قاصر، وتحريف للكلم عن مواضعه؛ لأنّ كفار قريش يؤمنون بأنّ الله هو الخالق الرّازق المحيي المميت، ولم ينفعهم هذا الاعتراف بهذا المعنى، ولم يدخلهم في الإسلام، بل بقوا على كفرهم، والدّليل على ذلك قوله تعالى: {**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**}[يونس: ٣١]، وقال تعالى: {**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**}[العنكبوت: ٦١]. فهذا الاعتقاد بهذا المفهوم، وهو أن الإله معناه الخالق الرّازق يؤمن به كل النّاس، الكفار والمؤمنون، ولكن لم ينفع الكفار إيمانهم بذلك.

وإنه لمن النّقص المبين على المسلم أن يكونَ المشركون أعلمَ منه بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله، فإنّ النبيَّ صلّى الله عليه وسلم، لما قال لقريش: (**قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**)(٢٩)، استكبروا وعاندوا ولم يقبَلوها، وقالوا: {**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**}[ص:٤، ٥].

قال الشيخ عبدالرحمن المعلّمي اليماني رحمه الله(١٣١٢-١٣٨٦هـ)، في مقدمة كتابه: (رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله)، في بيان أنّ الجهل بمعنى(الإله) يلزم منه الجهل بكلمة التّوحيد(لا إله إلا الله): قال: (أما بعد: فإنِّي تدبَّرت الخلاف المستطير بين الأمَّة في القرون المتأخرة في شأن الاستعانة بالصالحين الموتى، وتعظيم قبورهم ومشاهدهم، وتعظيمِ بعض المشايخ الأحياء، وزعم بعض الأمَّة في كثيرٍ من ذلك أنَّه شرك، وبعضها أنَّه بدعة، وبعضها أنَّه من الحق، ورأيت كثيرًا من الناس قد وقعوا في تعظيم الكواكب والروحانيين والجنّ بما يطول شرحه، وبعضُه موجودٌ في كتب التَّنجيم والتعزيم كـ(شمس المعارف) وغيره، وعلمت أنَّ مسلمًا من المسلمين لا يقدم على ما يعلم أنَّه شرك، ولا على تكفير من يعلم أنَّه غير كافر؛ ولكنَّه وقع الاختلاف في حقيقة الشرك، فنظرت في حقيقة الشِّرك فإذا هو بالاتفاق اتخاذ غير الله عز وجل إلهًا من دونه، أو عبادة غير الله عز وجل، فاتّجه النَّظر إلى معنى الإله والعبادة، فإذا فيه اشتباهٌ شديد، فإنّ المعروف في تفسير (الإله) قولهم: (معبود)، أو (معبود بحقّ)، ومعنى

(٢٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٥٤٤٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٥٦٢)، وصححه الألباني في "إرواء الغليل" برقم (٨٣٤).

العبادة مشتبه جداً ـكما ستراه إن شاء الله- فعلمت أنَّ ذلك الاشتباه هو سببُ الخلاف، وإذا الخطر أشدُّ مما يُظن؛ لأنَّ الجهل بمعنى (إله) يلزمه الجهل بمعنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهي أساس الإسلام وأساس جميع الشرائع الحقة)(٣٠). وليس بعد هذا التّشخيص بيان.

٢) إهمال توحيد العبادة، الذي هو توحيد الألوهية الذي هو معنى: (لا إله إلا الله). فوجد في بعض طوائف من المسلمين من يفسّر التّوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ومن أجله خلق الله الخلق، يفسّره بتوحيد بالرّبوبية فقط، وترتب على هذا المفهوم القاصر إلغاء معنى الألوهية والعبادة الشرعي.

وإذا كان معنى الألوهية هو معنى الرّبوبية –كما تدّعيه طوائف من المتكلمين-فهذا مصادرة لتوحيد الألوهية والعبادة بأكمله من حيث الحقيقة، وإن بقي اسمه ظاهراً، ومن ثمّ فإنّ من ترك الألوهية-عندهم- لا يُعد تاركاً لشيء من التّوحيد فوقع الخلل في حياة بعض المسلمين، وفهمه لدينه، بل لأعظم أمر في دينه.

ومن المعلوم أن الدّعوة إلى التّوحيد، والتّحذير من الشرك، وصحة العقيدة وسلامتها هما الأصل الأول في دعوة المرسلين، من لدن نوح إلى محمد - عليهم الصلاة والسلام - وهذا هو الغاية الأولى التي بها تصلح كل شئون الدّنيا والدّين، فإذا صحت العقيدة أذعن الناس لله وحده وأطاعوا رسله واستقاموا على شرعه على هدى وبصيرة، ومن ثم يصلح كل شيء من أمورهم الدّينية والدنيوية.

وكل منهج لا يقوم على هذا الأساس - في أي زمان ومكان - فإنه قاصر وناقص، ويخشى أن يكون نصيبه إما الفشل، وإما الانحراف عن الصراط المستقيم، أو هما معاً، لأن هذا أصل عظيم من أصول الدّين متى غفلت عنه الأمم وقعت في كارثة الشرك والابتداع. نسأل الله السلامة والعافية من ذلك(٣١).

وينبغي أن ننتبه لأمر مهم وهو أنّ الخلاف في تقسيم التّوحيد ليس خلافاً في التّقسيم الاصطلاحي بحيث يكون لفظياً، لأنهم ينكرون أن يتعلق التّوحيد بأفعال العباد وإرادتهم وأقوالهم فيقع فيها الشرك، كما يقع في اعتقاد شريك مع الله تعالى في الخلق والرزق والتدبير. كما أن الخلاف ليس خلافاً في التقسيم لذاته، لأنهم يقسمون التّوحيد نفسه إلى (واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له). والدافع لنفي التقسيم هو وجود قسم في التّوحيد يمنعهم من الاستغاثة بغير

(٣٠) رفع الاشتباه، ص (٣-٤).
(٣١) ينظر: بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ص (٢٧).

الله، والنّذر والذّبح لغيره، وتعظيم القبور بالتّمسح، والتّبرك بها، ونحو ذلك، فالخلاف في أقسام التّوحيد خلاف حقيقي مؤثر[٣٢].

٣) **ومن الخلل في مفهوم العبادة والتّوحيد**، اختزال العبادة في المحبّة فقط، فوجد من يدّعي المغالاة في حبّ الله تعالى حتى إن بعضهم أخرج نفسه من دائرة البشرية، وأدخلها في الرّبوبية التي لا تصلح إلا لله سبحانه وتعالى، كمن يدعي أموراً تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين، مثل علم الغيب، أو الالتقاء بالرسل، أو مشاهدة الله عز وجل، وهذا لا شك أنه أخطأ الطريق، وحاد عن الصواب، وتجاوز حدوده.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ - يعني المتصوفة - وسببه ضعف تحقيق العبودية لله عز وجل التي بينها الرسل، وحرّرها الأمر والنهي الذي جاءوا به، بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته، وإذا ضعف العقل وقلّ العلم بالدّين، وفي النفس محبة طائشة جاهلة، انبسطت النفس بحمقها في ذلك)[٣٣].

ومعلوم أن العبادة تقوم على ثلاثة أعمال قلبية وهي المحبة والخوف، والرجاء، التي هي أركان العبادة، بقوتها وزيادتها تقوى العبادة وتزيد، وبضعفها ونقصانها تضعف العبادة وتنقص، ولا بد من التّلازم بينها. ولهذا قال بعض السلف: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق[٣٤]، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري[٣٥]، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ[٣٦]، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن

---

(٣٢) ينظر: حقيقة التّوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، ص (٤٧٢).

(٣٣) مجموع الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، (١٩٨/٥).

(٣٤) الزِنْديقُ: بالكسر: قال في القاموس المحيط ص(١١٥١) (من الثّنويّة، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالرّبوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الإيمان الأوسط المطبوع ضمن مجموع الفتاوى (٤٧١/٧): (ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ الزنديق، وشاعت في لسان الفقهاء ... والمقصود هنا أن الزنديق في عرف الفقهاء، هو المنافق على عهد رسول الله -ﷺ- وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن ديناً من الأديان: كدين اليهود والنصارى أو غيرهم. أو كان جاحداً معطلاً للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة. ومن الناس من يقول: الزنديق: هو الجاحد المعطّل. وهذا يسمى الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامّة، ونقلة مقالات الناس).

(٣٥) الحروري: منسوب إلى حَرُوراء.اسم قرية قريبة من الكوفة في العراق. ويقال لمن يعتقد مذهب الخوارج حروري. لأن أول فرقة منهم خرجوا على علي – رضي الله عنه – عند هذه القرية، فاشتهروا بالنسبة إليها، وهم فرق كثيرة. ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، ص(٦٨). وفتح الباري لابن حجر (١ / ٤٢٢).

(٣٦) المرجئة: هم الذين يعتقدون أنّه لا يضر مع الإيمان معصية. وهم فرق عديدة يجمعهم إخراج العمل عن مسمى الإيمان.

موحد)[٣٧].

ونتج عن هذا الخلل في أركان العبادة، خلل آخر، وهو القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، أو الأمن من مكر الله، وكلاهما كبيرة من كبائر الذنوب. ولهذا جاء في الحديث، (**إذا قال الرجل: هَلَكَ الناسُ، فهو أهلكهم**)[٣٨] أي: أشدهم هَلاكًا. وجعلهم هالكين، بسبب القنوط واليأس، أو الإعجاب بالنّفس واحتقار النّاس.

وجاء في الحديث الآخر، عن جندب بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك**)[٣٩]. وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: (تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته)[٤٠]. وهذا أدّى به إعجابه بنفسه وعمله إلى التألي الله عز وجل، واحتقار النّاس، فعاقبه الله بنقيض قصده عياذاً بالله، وهذه صورة من صور الخلل في التّديّن والتّعبّد، قد يقع فيها بعض العبّاد والزّهاد.

ومن صور الخلل المشابهة لهذا تجد من يستنكر بعض المنكرات، وهو يقع فيما هو أعظم منها. وتجد من تظهر عليه مظاهر التّديّن وهو من أكثر النّاس فضاضة في الخطاب، وسوءًا في الأخلاق والمعاملات، ونفورًا من الموعظة والقبول، وغمط النّاس، وفي الحديث: "**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**"، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟، قال: "**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَر الحق وغمْط الناس**"[٤١]. شديد الإنكار للمعاصي الظاهرة، ولكنه قد يقع في المعاصي الباطنة، وقد تجد هذا التّديّن لمصالح دنيوية كحب الظهور والإكرام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنّبي -صلّى الله عليه وسلم- يا رسول الله (إنَّ فلانة تقوم الليل وتصوم النَّهار، وتفعل وتصَّدَّق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "**لا خير فيها، هي من أهل النار**". قالوا: وفلانة

(٣٧) ينظر: العبودية، ص(١٢٨). والتحفة العراقية، ص(٩٠). ومجموع الفتاوى، (٢١/١٥). وبدائع الفوائد،(١١/٣). والتخويف من النار، ص(٣٠). وقد نسب أبو حامد الغزالي هذا القول إلى مكحول الدمشقي، ينظر: إحياء علوم الدين، (١٧٤/٤). وقوت القلوب، (٢٤٢/١).

(٣٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب: النهي من قول: هلك النّاس، رقم: (٢٦٢٣)، من حديث أبي هريرة. (أهلكهم)، رويت على وجْهين؛ بفتح الكاف وضمِّها، والضم أشهر.

(٣٩) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البّر والصلة والآداب، رقم: (٢٦٢١).

(٤٠) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، رقم(٤٩٠١)، وأحمد في مسنده(٣٢٣،٣٦٣/٢)، وابن حبان في صحيحه(٥٧١٢).

(٤١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١).

تصلي المكتوبة وتَصَدَّق بأثوار (قطع من الأقط، وهو لبن جامد) ولا تؤذي أحدًا. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: **"هي من أهل الجنة"**(٤٢).

٤) **ومن مظاهر الخلل: وجد من يحصر العبادة في أداء الشعائر التّعبدية المحضة فقط**، كالصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ والذّكر ونحو ذلك، فتراهم يقومون بهذه الأمور، ويحرصون عليها، ولكن إذا خرجوا لحياتهم العملية في ممارسة الحياة، فربما لا يعرف حلالاً ولا حراماً، فيتعاملون بألوان المعاملات المحرمة كالغش في المعاملات، والرّبا في المكاسب، والكذب في البيع والشراء، والخديعة، وغير ذلك، وربما يدّعون أن هذا كله ليس من العبادة.

وإذا خرجوا حياتهم الاجتماعية والآداب العامّة فيقعون في بعض المحرمات، كالكذب في الحديث، والغيبة والنميمة وغيرها، ومنهم من إذا خرج للحياة العلمية والثقافية والفكرية وقع في خلل في المفاهيم التّعبديّة، وربما يدعو النّاس إلى مفاهيم مغلوطة، عمداً وقصدًا- أو تهاوناً وتهاوناً وتساهلاً وتجنياً على كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإعجابًا بالرأي، والعقول القاصرة، وهؤلاء جميعًا يخطئون في فهم حقيقة التّوحيد والعبادة والتّعبّد والتّديّن، فيجزئون الدّين حسب رغباتهم وأهوائهم وشهواتهم.

والمتأمل في آيات القرآن الكريم التي جاءت في وصف عباد الله المتقين، يجد أنّ هذه الأوصاف التي ورثوا بها جنّات النّعيم جاءت شاملة لكل خير وفضيلة يراد بها وجه الله والدار الآخرة. وهذا كثير في القرآن الكريم.

ففي أوّل وصف للمتّقين في أول سورة البقرة، وصفهم الله تعالى بقوله: {**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٥)**}. وهي أوصاف تشمل: العقائد، والأعمال الباطنة، والأعمال الظاهرة لتضمن التقوى لذلك.

وفي وصفه لهم في سورة آل عمران: {**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ**

(٤٢) رواه أحمد، في مسنده،(٤٤٠:٢)، (٩٦٧٣)، وابن حبان (٧٦/١٣)، والحاكم (١٨٤/٤). قال الهيثمي في (المجمع) (١٧٢/٨): (رجاله ثقات). وصحح إسناده البوصيري في ((إتحاف الخيرة)) (٤٩٠/٥).

وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ(١٣٦)}. والإحسان الذي يحبّه الله ويحبّ أهله، ويجزيهم هذا الجزاء العظيم: نوعان: الإحسان في عبادة الخالق. والإحسان للمخلوق.

-فالإحسان في عبادة الخالق، أن يعبده المسلم كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.

-وأما الإحسان إلى المخلوقين، فهو إيصال النفع الدّيني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الدّيني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك بذل الندى وكف الأذى، واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عباده[٤٣].

وفي سورة المعارج، وصفهم الله بصفات[الآيات:١٩-٣٥]، وحاصل هذه الصفات: (أن الله وصف أهل السعادة والخير بهذه الأوصاف الكاملة، والأخلاق الفاضلة، من العبادات البدنية، كالصّلاة، والمداومة عليها، والأعمال القلبيّة، كخشية الله الدّاعية لكل خير، والعبادات المالية، والعقائد النّافعة، والأخلاق الفاضلة، ومعاملة الله، ومعاملة خلقه، أحسن معاملة من إنصافهم، وحفظ عهودهم وأسرارهم، والعفة التامة بحفظ الفروج عما يكره الله تعالى)[٤٤]. وفي سورة المدثر وصف الله المجرمين، بقوله: ({**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ**} أي: أي شيء أدخلكم فيها؟ وبأي: ذنب استحققتموها؟ فـ{**قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**} فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان ولا نفع للخلق المحتاجين)[٤٥]. وفي سورة الليل، وصف الله العبد التّقيّ الذي سيتجنّب النّار، بأنّه: {**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ**}.(فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستّحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنّه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب)[٤٦].

وفي سورة الماعون، وصف الله من يكذب بالدّين، فقال: **فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ**}. والشواهد على هذا كثيرة جدّاً في القرآن الكريم،

(٤٣) ينظر: تفسير السّعدي(تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام الرّحمن)، ص (١٤٥).
(٤٤) المرجع السابق: ص (١٠٥١).
(٤٥) المرجع السابق، ص (١٠٦٢).
(٤٦) المرجع السابق، ص (١٩٠٤).

يصف الله عباده المتقين بصفات تدّل على المفهوم الشامل للعبادة، والعبودية والتّدين، وأنّه شامل للحياة كلها، في معاملة الخالق، ومعاملة الخلق، بل أداء حقوق الخلق التي أوجبها من برّ وإحسان وصدقة ومعروف و من أداء حقّ الله، والتّفريط فيه تفريط في حقّ من حقوق الله، ولهذا أوجب الله البرّ والإحسان للوالدين، وأوجب صلة الرّحم، والإحسان للجار، وإكرام الضيف.

قال ابن رجب-رحمه الله- في بيان مظهر من مظاهر الخلل في حسن الخُلُق عند شرح حديث وصية النّبي -صلّى الله عليه وسلم- لمعاذ رضي الله: (قوله ﷺ **(وخالق النّاس بخلُق حسن)**[٤٧]: هذا من خصال التّقوى، ولا تتم التّقوى إلا به، وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإنّ كثيرًا من النّاس يظن أن التّقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده، فنُصّ له على الأمر بإحسان العشرة للنّاس، فإنّه كان قد بعثه إلى اليمن معلمًا لهم ومفقهًا وقاضيًا، ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة النّاس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيره مما لا حاجة للنّاس به ولا يخالطهم، وكثيرًا ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته، إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها، والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جدًا، لا يقوى عليه إلا الكمّل من الأنبياء والصديقين)[٤٨].

ويشهد لهذا النّوع من الخلل، ما جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنهُ- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **أتدرون ما المفلسُ؟"** قالوا": المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال:**" إنّ المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتهُ قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النّار"**[٤٩]. فهذا هو المفلس الحقيقي بسبب الخلل الذي عنده عن مفهوم التّديّن، والتّعبد.

هذه بعض مظاهر الخلل التي أصابتِ بعض المسلمين، وهي من أشد البلايا التي حلت بهم، وكانت بسبب ضعف التّوحيد في النّفوس، والخلل في مفهوم التّوحيد والإيمان، والعبادة، والتّعبّد والتّدين.

---

(٤٧) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٢٨/٥)، رقم: (٢٢٣٣٧)، والتّرمذي في جامعه، كتاب البرّ والصّلة، باب ما جاء في معاشرة النّاس، (١٩٨٧).
وقال: (حديث حسن صحيح).
(٤٨) جامع العلوم والحكم، ص(٣٣٨).
(٤٩) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: (٢٥٨١).

وبسب إهمال طوائف وجماعات توحيد الألوهية (توحيد العبادة) الذي هو توحيد الله بأفعال العباد، أخرجوا الأعمال عن حقيقة الإيمان، وجعلوا الإيمان هم مجرد التّصديق القلبي، وعلى هذا فتوحيد الألوهية عندهم لا يدخل في حقيقة الإيمان. ويتفرع عن هذه المسألة أمر آخر جدّ خطير، ألا وهو وقوع كثير من المسلمين اليوم فيما يناقض هذا التّوحيد أو ينقصه أو يخل به.

فمما يناقضه أعمال واعتقادات بعض المنتسبين للإسلام: دعاء غير الله والاستعانة بغير الله، والذبح والنذر لغير الله، وتصديق الكهّان، وغير ذلك مما لا يخفى على الدعاة والعلماء.

ومما يناقض التّوحيد ويخدشه: شيوع البدع والخرافات كالموالد والتمسح بالقبور والأشخاص والأحجار والأشجار والحلف بغير الله، ونحو ذلك.

كل هذا وغيره مما هو خلل في التّوحيد: من الأمراض المستشرية في جسم الأمة الإسلامية، ولا بد من علاجه أولاً قبل غيره من الأمراض الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية... إلخ. لأن مرض الاعتقاد هو مرض القلوب، وهو الداء العضال والمرض الأول الذي نتجت عنه جميع الأمراض والانحرافات الخلقية وغيرها، وهذا هو داء الأمم قديماً وحديثاً[(٥٠)].

وهناك صور أخرى كثيرة، تتعلق بتوحيد الأسماء والصّفات بين الغلاة المعطلة المحرّفة، والغلاة المعطلة المشبهة.

وكذا في أبواب القدر بين الجبرية والقدرية، وفي مسائل الولاء والبراء، والوعد والوعيد، ومسائل التكفير، والبيعة والسمع والطاعة، ولزوم الجماعة، مما وقع فيه الخلل لدى بعض الجماعات المعاصرة، مما لا يتسع هذا البحث المختصر لذكر صور ومظاهر الخلل العقدي في هذه الأبواب، والذي أثّرّ بلا شك في مفهوم التّوحيد، والتّعبد، لدى بعض المسلمين وبعض الطوائف والجماعات، وانعكس هذا الانحراف على عباداتهم وسلوكهم، وتعاملاتهم، وفهمهم لدينهم، ودعوتهم إليه.

(٥٠) ينظر: بحوث في عقيدة أهل السّنّة والجماعة، للعقل، ص(٨٤).

المبحث الثّاني
مظاهر الخلل في مفهوم الإيمان، وحقيقته

لقد أجمع سلف هذه الأمّة من الصّحابةِ والتابعين ومن تَبِعهم بإحسانٍ أنَّ الإيمانَ بمعناه العام، مُكوَّن من عقيدةِ القَلب وقول اللّسان، وعمَلِ القلب واللّسان والجوارِح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وثمت تلازم وثيق بين الظاهر والباطن، وبسبب البعد عن هدي الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة الصالح، وقع الخلل في هذا المفهوم للإيمان. فمن ذلك:

١) حصر الإيمان في القلب في فقط، أو في القلب واللّسان، وإخراج الأعمال الظاهرة عن مسمى الإيمان.

يقول صاحب جوهرة التّوحيد:

وفُسّرَ الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخُلف بالتحقيق
فقيل شرط كالعمل وقيل بل شطر والإسلامَ اشرحنَّ بالعمل

قال شارح الجوهرة الإمام البيجوري: (وبالجملة فالإيمان شرعاً هو التصديق)(٥١). و(وقوله: (شرط) أي خارج عن ماهيته، وهذا القول لمحققي الأشاعرة والماتريدية ولغيرهم، وقد فهم الجمهور أن مرادهم أنه شرط لإجراء أحكام المؤمنين عليهم من التوارث، والتناكح، والصلاة خلفه وعليه، والدفن في مقابر المسلمين، ومطالبته بالصلوات والزكوات، وغير ذلك، لأن التصديق القلبي وإن كان إيماناً إلا أنه باطن خفي فلا بد من علامة ظاهرة تدل عليه لتناط أي: تعلق به تلك الأحكام. فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لإباء بل اتفق له ذلك. فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية... وفهم الأقل أن مرادهم أنه شرط في صحة الإيمان، وهذا القول كالقول بالشطرية في الحكم، وإنما الخلاف بينهما في العبارة، والقول الأول هو الراجح، والنصوص بحسب المتبادر منها مقوية للقول بالشرطية دون الشطرية)(٥٢).

قال: (وقوله (كالعمل) أي في مطلق الشرطية، وإن اختلفت جهة الشرطية في المشبه والمشبه به، لأن السابق إما شرط لإجراء الأحكام الدنيوية أو لصحة الإيمان كما مر، وهذا شرط كمال على المختار عند أهل السنة، فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال، ومن تركه فهو مؤمن، لكن فوّت على نفسه الكمال)(٥٣).

---

(٥١) تحفة المريد، ص(٩٢).
(٥٢) تحفة المريد، ص(٩٤).
(٥٣) تحفة المريد، ص(٩٤).

ثم ذكر الخلاف عندهم، وأنّ منهم جماعة قالوا: (ليس الإقرار بالشّهادتين شرطاً بل هو شطر، فيكون الإيمان عند هؤلاء اسماً لعملي العمل واللّسان جميعاً وهما التصديق والإقرار دون أعمال الجوارح). ثم قال: (والمعتمد أنه شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط، وإلا فهو مؤمن عند الله تعالى كما مر)[٥٤].

وهذا القول بلا شك أنه خلل في مفهوم الإيمان الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسّنّة، وأجمع عليه سلف الأمّة الصّالح، وحقيقة هذا القول عند التأمل يرجع إلى قول من قال بأنّ الإيمان هو المعرفة فقط. وترتب على ذلك إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، وبالتالي فالإخلال بها لا يُعد إخلالا بالإيمان، وهذا مخالف للنصوص الشرعية التي تنفي الإيمان عمن أخل بالواجبات الظاهرة، كقوله صلّى الله عليه وسلم: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)**[٥٥]. ونحوها من الأحاديث الكثيرة.

٢) وبسبب هذا الخلل في مفهوم الإيمان وحقيقته شرعاً، وقع كثير من المسلمين اليوم في التساهل في الدّين وأحكامه وحدوده، وبررت مظاهر الإعراض عن دين الله وشرعه كليّاً أو جزئياً.

٣) وكان من أسباب ذلك شيوع المعاصي والفجور بدعوى أن المعوّل على ما في القلب، كما يشير بعض الجهلة حينما يُنهون عن الفساد، بقولهم: (التقوى ها هنا).

٤) وبسبب هذا الخلل وجد من بعض الدعاة من يدافع عن البدع أو يروج لها أو يرضى بها، أو يرى أن أمرها يسير، وأنها ليست من مسائل الدّين المهمة، مثل بدع الموالد، والاحتفالات الدّينية البدعية.

٥) وبسبب هذا الخلل وجد من يتصدّر للدعوة وهو لا يعرف عقيدة السلف، وربما سُئل أحدهم عن بدهيات العقيدة فلا يُجيب، وإن أجاب خلط!

٦) وبسبب هذا الخلل وجد - ومع كل أسف - من الدعاة أو ممن يزعمون أنهم دعاة من يُؤخر الصلاة الفريضة عن وقتها دون ضرورة، أو لا يهتم بصلاة الجماعة، ومن يتساهل في أكل الربا ... إلخ من الأمور التي تخل بالدّين، أو تجرح العدالة، أو تنافي الفضيلة، ولا ُتقبل ممن يتصدر الدعوة ويكون قدوة[٥٦].

---

(٥٤) تحفة المريد، ص(٩٥).

(٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب: الزنا وشرب الخمر، (٦٧٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية، على إرادة نفي كماله، رقم (١٠٠). وقد شرح هذا الحديث ابن تيمية رحمه الله في كتاب خاص، سماه: (شرح حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، وبيّن ما فيه من أحكام اعتقادية، وقد طبع الكتاب، بتحقيق" دغش العجمي، دار ابن حزم ط(١) ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٥٦) ينظر: بحوث في عقيدة أهل اسنّة والجماعة، للعقل، ص(٦١).

ولا شك أن هذا الخل في مفهوم التّوحيد والإيمان والتّديّن والتّعبد لدى بعض المسلمين وطوائف منهم وجماعات وفرق في العصور المتأخرة أدى إلى انحسار مفهوم التّديّن عندهم وتضييقه، فترتب على ذلك مفاسد كثيرة. حتى أثر ذلك في حياتهم العملية والأخلاقية، بل وفي نظرتهم لحقيقة دينهم. ولا حول ولا قوة إلا الله.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في بيان صورة من صور الخلل لدى بعض المتعلمين: (مسألة: ما فائدة معرفة الإنسان محظورات الإحرام من حيث العمل والسلوك؟ هل الفائدة أن يعرف ما هو محظور، وماذا يترتب عليه؟: أو الفائدة أن يعرف المحظور ليتجنبه، فإذا ابتلي به عرف ماذا يجب عليه؟

الجواب: الثّاني، ولهذا نحن ينقصنا في علمنا أننا لا نطبق ما علمناه على سلوكنا، وأكثر ما عندنا أننا نعرف الحكم الشرعي، أما أن نطبق فهذا قليل نسأل الله أن يعاملنا بعفوه ـ وفائدة العلم هو التطبيق العملي، بحيث يظهر أثر العلم على صفحات وجه الإنسان، وسلوكه، وأخلاقه، وعبادته، ووقاره، وخشيته وغير ذلك، وهذا هو المهم...فالأمور النظرية ليست هي المقصودة في العلم ـ اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ـ فالعلم فائدته الانتفاع.

وكم من عامي جاهل تجد عنده من الخشوع لله ـ عزّ وجل ـ ، ومراقبة الله، وحسن السيرة، والسلوك، والعبادة، أكثر بكثير مما عند طالب العلم)(٥٧).

وهاهنا تنبيه مهم جداً: وهو أنّه عندما نذكر هذه المظاهر والصّور إنما هو لأجل التنبيه والتّحذير والحذر من الوقوع فيها، والخلل فيها لا يعني بكل حال النقض والرّدة في جميع صورها، ولا يعني اشتراط الكمال في كل مؤمن، فالكمال عزيز. والخطأ والتّقصير واردٌ.

فالدّين ثلاث مراتب، كما تقدم في حيث جبريل -عليه السلام: (إسلام، وإيمان، وإحسان). وأهله على ثلاث مراتب: مسلمون، ومؤمنون، ومحسنون، والإيمان ثلاث درجات: أصل الإيمان، وكماله الواجب، وكماله المستحب، كما دلّ عليه قوله تعالى: **{ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ} [فاطر: ٣٢].**

وليس البحث هنا عن مراتب الدّين ودرجات الإيمان، وإنما المقصود هو ما يقع من خلل في مفهوم الإيمان والتّديّن، فيظن صاحبه أنّه على تديّن صحيح، بخلاف العاصي الذي يفعل المعصية، ويعلم أنّها معصية.

---

(٥٧) الشرح الممتع، (١٦٦/٧).

وأيضاً لا يفهم من هذا أنّ المسلم الذي ارتكب بعض المعاصي ليس بمتدين، بلّ هو متّدّين، ولكن تدّنه ناقصاً، كما يقول أهل السّنة في اسم وحكم مركب الكبيرة (الفاسق الملّي). فلا يسلبون الفاسق الملّي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النّار كما تقول الوعيدية الخوارج والمعتزلة، بل الفاسق الملّي يدخل في اسم الإيمان عند الإطلاق، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق (الكامل المقيّد).

ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق الكامل، ولا يسلب مطلق الاسم(الأصل). ولهذا الإيمان المنفي عن الزاني هو كماله الواجب وليس أصله[٥٨].

---

(٥٨) ينظر: العقيدة الواسطية، ص(٦٦)، مع شرحها للهرّاس.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث يمكن أن نلخص بعض نتائجه فيما يلي:

١) أنّ المفهوم الصحيح للعبادة والعبودية التي من أجلها خلق الله الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، هي التّوحيد. وهو إفراد الله بأفعال العباد.

٢) أن العبادة في الإسلام لها مفهومان: عام وخاص، العام يشمل جميع مجالات الحياة كلها، وبهذا يتبين المفهوم الواسع والعام للدين والتّديّن والتّعبد. والخاص يختص بالأعمال التّعبدية المحضة كالطهارة والصلاة ونحوها. في هذا ردّ على من يجعلون الدّين في المسجد فقط، ثم يخرجون أمور الحياة عن مفهوم التّديّن والتّعبّد.

٣) أن التّوحيد الذي من أجله خلق الله الخلق، وأنزل الكتب، ودعا إليه جميع أنبياء الله هو توحيد الألوهية(العبادة) والذي يتضمن جميع أنواع التّوحيد الأخرى.

٤) أن الإيمان بالمعنى العام: اعتقاد بالجنان، وقول باللّسان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بالعصيان، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة الصالح، فحينئذ يشمل الدّين كله، الظاهر والباطن، والإخلال بشي من هذه الشعب إخلال بالإيمان والتّديّن والتّعبد.

٥) لقد وقع الخلل في مفهوم التّوحيد، فوجد في الأمة من اختزل التّوحيد في توحيد الرّبوبية، وفسر كلمة التّوحيد بهذا المعنى فقط، وأهمل توحيد العبادة، ومن ثمّ وقع الخلل الكبير في حياة المسلمين وفي فهمهم لحقيقة دينهم.

٦) لقد وقع الخلل في مفهوم الإيمان، فوجد في الأمة من حصر الإيمان في القلب، أو القلب واللّسان فقط، وأخرج الأعمال الجوارح عن مسمى الإيمان، وبسبب هذا الفهم أهملت كثير من العبادات والشعائر، ووقع كثير من المسلمين في المنكرات والفواحش بزعمهم أن ذلك لا علاقة له بالتّوحيد والإيمان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧) ينبغي التّنبّه أنه عندما نذكر هذه الصور والمظاهر للخلل في مفهوم التّعبد والتّديّن لا يعني ذلك ولا يلزم منه نقض التّوحيد والإيمان بالكلية، بل هذا الخلل هو نقص وقصور في المفهوم والتّعبد والتّديّن.

التوصيات: وفي الختم أوصي نفسي وإخواني والعلماء وطلاب العلم والمصلحين والمربين والدعاة إلى الله-وهم ورثة الأنبياء- أن يدركوا هذه الحقيقة، وأن يبذلوا المزيد من الاهتمام بإصلاح عقائد الأفراد والمجتمعات. وإذا عُذِر عوامُّ المسلمين عند ربّهم بسبَب جهلهم وعدم من يبصرّهم فما عذرُ العلماء وطلاب العلم والدّعاة إلى الله أمام ربّهم إذا قصَّروا في بيان الحق وتهاونوا في حملِ الناسِ على أهمّ أساسٍ وهو التّوحيد.

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يمنحنا وإخواننا المسلمين الفقه في الدّين، وأن يثبتنا عليه، وأن يرزقنا جميعًا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، كما نسأله سبحانه أن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، كما نسأله سبحانه أن يوفق جميع ولاة المسلمين في كل مكان، وأن يصلح أحوال المسلمين، وأن يعينهم على كل خير، وأن يمنحهم الفقه في الدّين، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى، إنه جل وعلا سميع قريب، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

فهرس المراجع والمصادر

١. الإبانة عن شريعة الفرقة النّاجية ومجانبة الفرق المذمومة، الكتاب الثالث: الرّدّ على الجهمية، لابن بطة، تحقيق: د.يوسف الوابل، دار الراية، ط(١)، ١٤١هـ. الرياض.

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ: محمد الشنقيطي، تحقيق: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، ط(١) ، ١٤٢٦هـ، من مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة.

٣. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم، لابن تيمية، تحقيق: أ.د.ناصر العقل، دار الفضيلة، الرياض، ط(١)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤. الإيمان. ابن تيمية، خرج أحاديثه محمد ناصر الدّين الألباني، ط(٣)، ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي.

٥. بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة. تأليف: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار العاصمة، الرياض، ط(٢)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٦. تحفة المريد على جوهرة التّوحيد(حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التّوحيد). حققه وعلق عليه وشرح غريب ألفاظه الأستاذ الدكتور/علي جمعة محمد الشافعي، جامعة الأزهر، دار السلام، مصر، ط(١) ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٧. التّدمرية، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد السعودي، دار العبيكان، ط(٨) ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. الرياض.

٨. تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: د.عبدالمحسن التركي، دار عالم الكتب، ط(١) ١٣٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٩. تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ط(١)، ١٤١٤هـ، مكتبة دار السلام.

١٠. تهذيب اللغة. محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق مجموعة من المحققين، مطابع سجل العرب، والدار المصرية للتأليف والترجمة.

١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسّعدي، دار ابن الجوزي، ط(٢)، ١٤٢٦هـ.

١٢. جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي، ط(٩)، ١٤٣١هـ.

١٣. حاشية ثلاثة الأصول، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، بقلم: عبدالرحمن القاسم، ط(٨)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٤. حقيقة التّدّين، للأستاذ الدكتور: ناصر العقل، دار ابن الجوزي، ط(١)، ١٤٣٧هـ.

١٥. حقيقة التّوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، تأليف/ عبد الرحيم السلمي، دار المعلمة، الرياض، ط(١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٦. رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، لبعدالرحمن المعلمي، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، دار الفوائد.

١٧. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: التركي وشعيب، مؤسسة الرسالة، ط(٢) ١٤٢٤هـ/٢٠٠٥، لبنان، بيروت.

١٨. شرح العقيدة الواسطية. محمد بن صالح بن عثيمين، تخريج / سعد بن فواز الصّميل، ط(٢)، ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي.

١٩. شرح العقيدة الواسطية، للهراس، ط(٦)، الدرر السّنية. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٠. الشّرح الممتع، لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، ط(١)،١٤٢٤هـ.الرياض.

٢١. شرح حديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، لابن تيمية، تحقيق: دغش العجمي، دار ابن حزم، ط(١)١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، بيروت.

٢٢. شرح صحيح مسلم. النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٣. الصارم المسلول على شاتم الرسول. ابن تيمية، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، وطبعة أخرى، تحقيق ودراسة محمد الحلواني، ومحمد شودري، ط(١)، ١٤١٧ هـ، دار ابن حزم.

٢٤. الصحاح. إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط(٢)، ١٣٩٩هـ، دار العلم للملايين، بيروت.

٢٥. صحيح البخاري(الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم وسننه وأيامه). أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،ط(١)، ١٤٠٠هـ، المطبعة السلفية.

٢٦. صحيح مسلم. أبو الحسين مسلم النيسابوري، دار إحياء الكتب العربية.

٢٧. العبودية. شيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلامي.

٢٨. العبودية، لابن تيمية، تحقيق: علي الحلبي، الطبعة الثانية، المكتبة العلمية، لبنان.

٢٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، الطبعة السلفية الأولى.

٣٠. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي، طبعة: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣١. فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد. عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق/عبد القادر الأرناؤوط، ط(١)، ١٤٠٢هـ، مكتبة دار البيان.

٣٢. القاموس المحيط. مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط(٢)، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة.

٣٣. القول السّديد على من أنكر تقسيم التّوحيد، للدكتور: عبدالرزاق البدر، دار ابن القيم، ودار ابن عفان.

٣٤. القول المفيد على كتاب التّوحيد. محمد بن صالح العثيمين، ط(٢)، ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي.

٣٥. لسان العرب. أبو الفيصل جمال الدّين محمد ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٣٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم.

٣٧. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تجميع د/محمد الشويعر، ط(٢)، ١٤١١هـ.

٣٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ابن قيم الجوزية، تحقيق: د.السعوي وآخرين، ط(١)، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، دار الصميعي، الرياض.

٣٩. المسند. أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي.

٤٠. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. حافظ بن أحمد الحكمي، ط(٣)، ١٤٠٤هـ، المطبعة السلفية.

٤١. معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

٤٢. الوصية الكبرى، لابن تيمية، دار الفاروق، ط(٢)، ١٤١٠هـ.

تم البحث بحمد الله

ونسأله سبحانه القبول والتوفيق